

# التأثير السياسي للإخوان في العراق يتلاشى تحت ضغط ماكينة حكم الأحزاب الشيعية

## الحزب الإسلامي يشهد نزيفا حادًا في شعبيته من دورة انتخابية إلى أخرى



فشل الإخوان في العراق ممثلين بالحزب الإسلامي في الحفاظ على دور قيادي في نظام الحكم الذي شاركوا في تأسيسه بعد الغزو الأميركي للبلاد يدفع بهم نحو هامش التراجع والانكفاء وصولاً إلى المرحلة الحالية حيث يواجهون الاضمحلال والذوبان في ماكينة الحكم التي تهيمن عليها القوى الشيعية ذات الصلات القوية بإيران ليصبحوا بذلك بمثابة مجرد ديكور مكمل لـ"ديمقراطية" المحاصصة وتقاسم المغانم.

بغداد - على عكس ما تسجله فروع جماعة الإخوان المسلمين في عدد البلدان العربية من حضور بارز وما تخوضه من صراعات وما تخبره من ضجيج، لا يكاد يُلمس للجماعة اليوم أي حضور يذكر في العراق على الرغم من أن تجربة الحكم القائمة هناك منذ ثمانية عشر عاماً محسوبة بشكل أساسي على أحزاب إسلامية.

وعلى الرغم من أن عملية المشاركة السياسية تقوم على مبدأ المحاصصة الحزبية والطائفية والعرقية وهو ما أتاح للحزب الإسلامي واجهة الإخوان في العراق، بادئ الأمر، المشاركة بفعالية في تأسيس النظام العراقي الجديد الناتج عن الاحتلال الأميركي للبلاد ولعب دور في قيادته، فقد ظل هذا الدور يتضاءل مع تقدّم الزمن حتى شارف على الاضمحلال خلال الفترة الحالية التي يُقبل فيها العراق على انتخابات برلمانية مبكرة.

### مبالغة في الانحناء

يعود التراجع في دور الإخوان في العراق لعدة أسباب يتعلق بعضها بسياسات الحزب الذي يمثلهم وبسلوكيات قياداته ويتعلق البعض الآخر بالمناخ العام السائد في البلاد. وتبدأ الإنسكالية انطلاقاً من هوية الحزب ذاته الذي تتردّد قياداته وتتضارب مواقفها بين الاعتراف بانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين وتبجيتها لتنظيمهم الدولي العابر لحدود البلدان، وبين إنكار ذلك الانتماء وتلك التبعية لأسباب تكتيكية.

### الإخوان في العراق بالفوقاء إمسك العصا من وسطها ومهادنة الجميع خصوماً ومنافسين تطبيقاً لأسلوب الثقفة وطمعاً في التمكين

ثم تتوالى الإشكالات مع سياسات قيادات الحزب الذين دأبوا منذ خروجهم إلى العمل السياسي والحزبي العلني داخل العراق سنة 2003 على إمساك العصا من وسطها ومهادنة جميع الأطراف ولو كانوا خصوماً ومناقسين عملاً بمبدأ الثقفة وتطبيقاً لأسلوب التمكين اللذين يعتبران من صميم سياسة جماعة الإخوان وتكتيكاتها.

وقدليل الغزو الأميركي عارض قادة الحزب الإسلامي الموجودون آنذاك

### عملاً بمبدأ إذا لم تغلبه انضم إليه

وأصعب المراحل، وتساهم الانقسامات بين القوى والأحزاب والكتل السنية بشكل كبير في إضعاف قوة ونفوذ المكون السني في صراعه على السلطة والموارد مع المكون الشيعي الذي يهيمن على الجزء الأكبر منهما ويفرض سيطرته شبه المطلقة على مختلف مقدرات الدولة.

### في خدمة مشروع نقيص

لا تزال الكتل السياسية السنية تفتقر إلى رؤية واضحة لحل الأزمات المتراكمة في المحافظات التي تمثلها تلك الكتل وهي أزمات تعيشها منذ الغزو الأميركي للعراق وتعمقت بشكل أكبر بعد الحرب على تنظيم داعش بين سنتي 2014 و2017.

ولا تمثل "حروب" الإلغاء أمراً طارئاً على البيت السياسي السني في العراق، وعلى الحزب الإسلامي ففي صيف سنة 2016 وفي أوج الحرب على تنظيم داعش وفي قمة معاناة أبناء المناطق السنية من ويلات اندلع اشتباك بلا رحمة بين وزير الدفاع في حكومة حيدر العبادي خالد العبيدي ورئيس البرلمان آنذاك القيادي في الحزب الإسلامي سليم الجبوري انتهى بإشاحة العبيدي من المنصب بعد أن توأما ضدّه الجبوري مع قوى وأحزاب شيعية، وخلال الانتخابات التي تلت تلك الأحداث بسنتين، دفع الجبوري نفسه ثمن الصراع ضدّ أنباء جلدته حيث لم يستطع حتى الحفاظ على مقعده في البرلمان.

وإذا لم يستطع الإخوان في العراق ممثلين بالحزب الإسلامي الحفاظ على دور قيادي في حكم العراق طيلة الثماني عشرة سنة الماضية بسبب هيمنة الأحزاب الشيعية ذات الصلات القوية بإيران على مقاليد الدولة واحتكارها أهم منصب تنفيذي فيها وهو منصب رئيس الوزراء، فقد كان الحل الأسهل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مغانم السلطة هو الدخول في خدمة المشروع الإيراني الذي تعتمد طهران بالأساس على القوى الشيعية العراقية الموالية لها في تنفيذه ويقوم على توسيع النفوذ في العراق وتوطيده وصولاً إلى الهيمنة على القرار العراقي السياسي والاقتصادي والأمني.

وعلى هذه الخلفية أقامت الحكومات الإيرانية علاقات واسعة مع قادة الحزب الإسلامي في العراق الذين لا تنقطع زيارتهم لطهران وأيضاً لقاءاتهم بالمسؤولين الإيرانيين في بغداد، وذلك على غرار العلاقات التي تربط بين إيران ومعظم القيادات السياسية السنية العراقية.

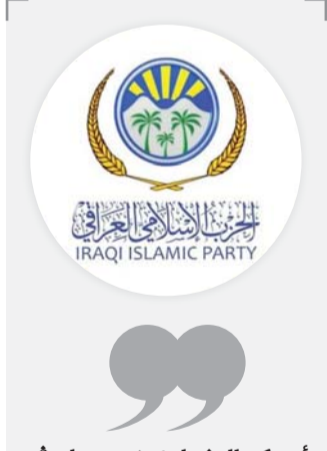
على ما يقرب من ثلث مساحة العراق وما نتج عن ذلك من حرب ضروس دارت أعنف حلقاتها وأشدّها دموية في مناطق السنة، بل داخل مدنهم وبين أحيائهم السكنية، وما أطلقته تلك الحرب من حركة نزوح وتشرّد طالبت الملايين من السكان الذين لا يزال الكثير منهم أمماً مشرّدين خارج ديارهم وإما عادوا إلى مناطقهم وهي خراب غير صالحة للعيش وتفتقر إلى أبسط الخدمات الأساسية وموارد الرزق، أبرز الشواهد في العملية السياسية بالعراق، بحيث فشلوا بشكل كامل في خدمة قضايا مكوّنهم وفي حمايته والدفاع عن مصالحه، خصوصاً في أحلك الظروف

السنية لديها أعلى معدلات البطالة، وبالتالي فإن معارضي الحزب الإسلامي العراقي قد نجحوا في إقناع عدد متزايد من السنة بأن الحزب هو جهة غير أمينة ولا يخدم سوى مصالحه والمصالح الخاصة لقياداته، ومما يزيد الأمور سوءاً أن الحزب الإسلامي العراقي فشل في التأثير بفعالية على سياسات الحكومة ما قوّض خطه في السعي لتقاسم السلطة مع الأحزاب السياسية الشيعية الرئيسة وحماية السنة من العنف المفرط الموجه ضدهم من قبل السلطات.

### حزب الدعوة السني!

لمختلف هذه الأسباب لم يعد الحزب الإسلامي يحظى بقبول في الأوساط الشيعية والعشائرية في المحافظات السنية التي تصفه بأنه الوجه الآخر لحزب الدعوة الشيعي، وتأخذ عليه ضلوع قادته ومسؤوليه في صفقات فساد والسطو على مساعدات النازحين الذين اضطروا خلال فترة الحرب الدامية ضدّ تنظيم داعش إلى مغادرة ديارهم، بالإضافة إلى تعاون الحزب مع إيران وارتباطاته مع كتل وميليشيات شيعية تسيطر على محافظات ديالى، وصلاح الدين وتشمال محافظة بابل، وتمنع نازحيها من العودة إلى ديارهم، وبالنسبة إلى الغالبية العظمى من سنة العراق، فإن الإخوان وحزبهم الإسلامي ليسوا سوى جزء من طبقة سياسية سنية تميزت بالانتهازية، بحيث أنصب اهتمامها على تحصيل المصالح الشخصية والمناخ الذاتية، أكثر من الدفاع عن مصالح المكون الذي ظل في واقع الأمر متروكاً لمصيره يعاني التهميش وانقطاع حركة التنمية بشكل كامل في مناطقه التي تحولت بفعل فقرها إلى مرتع للتشدد الديني وحاضنة لتنظيم القاعدة ثمّ تنظيم داعش الذي جرّ الويلات على مناطق السنة وحولها إلى مسرح حرب ضارية اجتذبت الميليشيات الشيعية الباحثة أصلاً عن سبب وزريعة لدخول تلك المناطق والتكامل بأهلها واستباحة ممتلكاتهم وصولاً إلى طردهم من مناطقهم وتغيير تركيبها الديموغرافية كما هي حال منطقة جرف الصخر جنوبي العاصمة بغداد التي استولت عليها الميليشيات الشيعية بالكامل وحولتها إلى مستعمرة إيرانية تستخدم مركزاً لتدريب الميليشيات المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني ولتجميع وتخزين الأسلحة المهرّبة من إيران.

ولقد مثلت السنوات الأخيرة منذ سيطرة تنظيم داعش



### أبو بكر البغدادي زعيم داعش وجد موطناً قدماً لتنظيمه في مناطق سنة العراق على أرضية فشل الإخوان في ملء الفرغ أمامه



بإدائه وإنما يعكس اتجاهها أوسع يؤثر على شعبية كل الأحزاب السياسية الرئيسية، فالجمهورية العراقية محط أيضاً من حزب الدعوة الإسلامية الذي حكم البلاد مطولاً بسبب فشله في إدارة الشأن العام وعجزه عن توفير الأمن والخدمات الأساسية وفرص العمل.

وبغض النظر عن الكيفية التي يفسر بها الحزب الإسلامي العراقي مكانته المتدنية بين أوساط السنة، يؤكد الباحث أن الحزب عانى بالفعل من الفشل في الوفاء بالوعود لحماية المجتمع السني وتوفير الخدمات وتحسين نظام الحكم، ويلقي منتقدوه من السنة باللوم عليه لفشله في حماية المكون الذي يدعى تمثيله خلال العنف الطائفي بين العامين 2006 و2009. فبعد تفجير مرقد الإمام العسكري في سامراء في بداية تلك الحقبة تمت تصفية الآلاف من السنة على أيدي ميليشيات شيعية تابعة للحكومة وتهجير عشرات الآلاف من النازحين داخلياً مما أدى إلى تغييرات في التركيبة السكانية في محافظات كبرى مثل بغداد وديالى. وخلال الفترة نفسها كان أكبر مسؤول حكومي سني هو الأمين العام للحزب الإسلامي العراقي طارق الهاشمي الذي كان يشغل منصب نائب لرئيس الجمهورية.

وفي الوقت نفسه، يضيف سلوم، تفتقر المدن ذات الأغلبية السنية إلى الخدمات الأساسية مثل المياه النظيفة والخدمات الصحية والكهرباء، وفي حين أن معدلات البطالة مرتفعة بشكل عام في العراق فإن المدن ذات الأغلبية



استطابة المقاعد الوثيرة